Journal of Islamic Sciences (JIS) • Vol 6, Issue 6 (2023) • P: 83 - 65
https://journals.ajsrp.com/index.php/jis
ISSN: 2664-4347(Online) • ISSN: 2664-4339 (Print)

Preservation of blessings and their disappearance in The Holy Quran

Dr. Larbi Ben Mohamed Lakhnig
Faculty of Arts University of Moulay Ismail | Morocco

Received: 21/08/2023
Revised: 02/09/2023
Accepted: 07/09/2023
Published: 30/12/2023

* Corresponding author: l.lakhnig@umi.ac.ma

Citation: Lakhnig, L. M. (2023). Preservation of blessings and their disappearance in The Holy Quran. *Journal of Islamic Sciences, 6*(6), 65 – 83. https://doi.org/10.26389/AJSRP.N210823

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: As long as the blessings are not on the same scale, and their acquisition and disappearance are governed by divine laws. And since the concrete fact of this can only be fully understood through revelation, therefore the proper conception and extraction and formulation of the divine laws related to this subject, requires extrapolating the uses of the term studied and of its derivatives in the Holy Quran and to study them according to a solid scientific approach. To achieve this objective, I will adopt a descriptive method based on the study of terminology.

Among the results of this study is that blessings are governed by divine laws and that their types are multiple and they differ according to the time of their obtaining, and according to their renewal and their continuity, as well as in consideration of the ways by which they reach the servants.

Keywords: Blessings - Preservation - Disappearance - Laws.

حفظ النعم وزوالها في القرآن الكريم

الدكتور / العربي بن محمد لخنيك
كلية الآداب | جامعة مولاي إسماعيل | المغرب

المستخلص: لما كانت النعم على غير وزان واحد، وكان تحصيلها وحفظها محكوما بسنن إلهية مطّردة، ولّما كانت حقيقة ذلك لا تُدرك على وجه الكمال إلا من طريق الوحي، فإن حسن تصوّرها واستخلاص ما يكتنزه مفهومها من قواعد ومسائل علمية يقتضي استقراء مواردها في نصوص الوحي وما يدخل في أُسرتها المفهومية ودراستها وفق منهج علمي رصين. وهذا هو الغرض من هذا البحث. ولبلوغ هذا المرام أحسب أن المنهج الوصفي المستند إلى الدراسة المصطلحية والتفسير الموضوعي هو السبيل الأقوم لتحقيق ذلك. وخطة البحث وفق هذا المنهج تمر عبر استقراء النصوص التي ورد بها مصطلح النِّعمة في القرآن الكريم، ثم دراسة المعاني في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، لمعرفة مَدار الجذر اللغوي، ودلالة استعماله في نصوص الوحي، وما يتصل بكل ذلك من أقوال المفسرين وشرّاح الحديث. كل ذلك بغرض استخلاص الخصائص والقواعد والمسائل العلمية المتصلة باللفظ المدروس.

ومن أهم نتائج البحث أن النّعم محكومة بسنن الله في خلقه، وأنواعها متعدّدة. وهي تختلف بحسب زمانها وباعتبار النّفع والضر وبحسب تجدّدها واستمرارها ومن حيث كونها أصولا وفروعا وكذا باعتبار طرق وصولها إلى العباد.

الكلمات المفتاحية: النعم- الحفظ- الزوال-السّنن.

مقدمة

الحمد لله خالق الخلق ومالك الملك ومدبّر الأمر، القائل في محكم تنزيله: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) (النحل: 53)، فهو سبحانه المنعم بحقّ بألوان النعم التي لا يقدر أحد من مخلوقاته من أهل السماوات والأرض على إحصائها؛ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:18].

أهمية البحث:

إن البحث في موضوع النعم، نعمة في حدّ ذاته؛ حيث إن معرفة حقيقتها، وأسباب تحصيلها وحفظها، ومعرفة عوامل زوالها، وسبل استرجاعها وحفظها، وسنن الله في ذلك، كلّ ذلك يزرع في الباحث استشعار أهميتها ومعرفة ما عليه من واجبات إزاءها وما للمنعم من حقوق عليه.

وتكمن أهمية البحث في موضوع النعم في النقاط التالية:

- اكتساب تصوّر علمي رصين حول مفهوم النعم من منظور البيان القرآني.
- معرفة أنواع النعم ومجالاتها ومراتبها وطرق وصولها للعباد.
- التعرّف على أسباب وشروط تحصيل النعم.
- معرفة سنن الله في حصول النعم وزوالها.
- معرفة سبل تقييد النعم وحفظها من الزوال، وطرق استرجاعها.
- استثمار كل ذلك في صلاح الأمة والأفراد.

أهداف البحث: يروم هذا البحث ما يلي:

- بيان مفهوم النعم في القرآن الكريم، وما يرتبط بذلك من بيانٍ لمعاني الألفاظ وامتداداتها اللغوية،
- استخلاص القضايا التي تتمخّض عن التفسير الموضوعي للمقاطع القرآنية التي ورد فيها اللفظ المدروس،
- بيان حقيقة النعم وأنواعها ومراتبها ومجالاتها،
- بيان القواعد والقوانين ذات الصّلة بتحصيل النعم وقيدها وأسباب زوالها وسبل استرجاعها بعد ذهابها.

مشكلة البحث: تتمحور مشكلة البحث حول الأسئلة الآتية:

- ماهي المساحة الدلالية لمفهوم النعمة في القرآن الكريم؟
- ما هي أنواع النعم ومجالاتها وخصائصها ومراتبها؟
- ما هي القواعد التي يمكن أن نستخلصها من دراسة سنن الله في حصول النعم وزوالها؟
- كيف يمكن استرجاع النعم بعد زوالها؟
- كيف يمكن استثمار تلك القواعد في بناء الفهم والسلوك؟
- كيف يمكن استثمار كل ذلك في إصلاح حال الأمة؟

منهج البحث:

تسير الدراسة على المنهج الوصفي المستند إلى الدراسة المصطلحية والتفسير الموضوعي. وخطة البحث وفق هذا المنهج تمر عبر استقراء النصوص التي ورد بها مصطلح النعمة في القرآن الكريم، ثم دراسة المعاني في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، لمعرفة المعاني التي يدور حولها الجذر اللغوي، ودلالة الاستعمال في نصوص الوحي، وما يتصل بكل ذلك من أقوال المفسرين وشرّاح الحديث. كل ذلك بغرض استخلاص الخصائص والقواعد والمسائل العلمية المتصلة باللفظ المدروس.

الدراسات السابقة:

- "مفهوم النعم في القرآن الكريم والحديث الشريف"، وهي رسالة دكتوراه للباحث عبد المجيد بن مسعود، من إصدارات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع)[(1)]، اعتمد فيه صاحبه على المنهج الوصفي، ومما توصل غليه من نتائج أن المفهوم الدروس

(1) https://www.mobdii.com

تربطه علاقات تكامل مع مفاهيم الشكر والحكمة والميثاق والرزق والأمن والاطمئنان والفضل وعلاقات اختلاف مع مفهوم النقمة والابتلاء والشقاوة.

- "النعمة في القرآن الكريم - دراسة موضوعية"[2]، للدكتور د. فاضل كريم صبر، وهو مقال منشور بمجلة كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد، العدد 44 دجنبر 2015، اعتمد فيه الباحث المنهج الوصفي، وتوصّل إلى إحصاء وبيان العديد من نعم الله على عباده، وأن الله هو مصدرها، وركّز على نعمة تسخير الكون وخصوصا البحار والمياه والشمس. وأنّ النعم ابتلاء.
- "النعمة والنعيم في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)" للدكتور فهد بن علي العندس، وهو مقال منشور بمجلة الأندلس للعلوم الانسانية والاجتماعية، عدد38 (أكتوبر- ديسمبر 2020) [3]، اعتمد فيه صاحبه المنهج الموضوعي، واستعان بالمنهج الاستقرائي والتحليلي للآيات القرآنية التي تتناول النعمة والنعيم. وقد انحصر العمل فيه على بيان دلالة اشتقاقات لفظ النعمة وعلاقته بلفظ النّعيم وأنواع النعيم في الدنيا والآخرة.

موقع هذه الدراسة من الدراسات السابقة:

يختلف هذا البحث عن سابقيه في جانب الإحاطة بالقضايا المرتبطة بمفهوم النعمة في القرآن الكريم، حيث إن الدراسات المذكورة منها ما اقتصر على دراسة المفهوم، ومنها ما انحصر في مسالة معيّنة دون غيرها، باستثناء أطروحة الباحث عبد المجيد بن مسعود التي تشبه إلى حد كبير العمل الذي قمت به في بحثي هذا في جانب الدراسة المصطلحية والتفسير الموضوعي، إلّا انها لم تتعدّ ذلك إلى بيان القواعد العلمية لفهم سنن الله في تحصيل النعم وزوالها وغيرها من المسائل العلمية.

خطة البحث: انتظم البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتضمنت ما تقدم.

المبحث الأول: مفهوم النعمة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أقسام النعم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب حفظ النعم.

المبحث الرابع: خصائص النعم.

المبحث الخامس: أسباب زوال النعم.

خاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم النعمة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النعمة:

يدور المعنى اللغوي للفظ النِّعمة ومشتقاته حول الرّغد والصلاح والحالة الحسنة، ومعناهما واحد؛ قال ابن فارس "النون، والعين، والميم، فروعه كثيرة، وهي على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفُّه، وطيب عيش، وصلاح، منه النعمة: ما يُنْعِمُ الله تعالى على عبده به من مال وعيش، يقال: لله تعالى عليه نعمة. والنّعمة: المِنَّة، وكذا النعماء. والنّعمة: التنعم وطيب العيش. وتَنَعَّم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش. ويقال: نعَّمه تنعيماً فتنعم، أي: جعله في لين عيش وخصب، قال سبحانه:(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه) (الفجر:15). و(النِّعمة) المال، يقال: فلان واسع النعمة. ويقولون: نَعَمْ وَنُعْمَى عين، وَنُعْمَةَ عين، أي: قُرة عين. ونَعِمَ الشيء من النعمة. وقد نَعَّم فلان أولاده: ترَّفهم. وتَنَعَّمَ الرجل: مشى حافياً. ونَعِمَ اللهُ بك ونَعِمَكَ، وأَنْعَمَ بك عيناً: أَقرَّ بك عين من تحبّه، أو أقرّ عينك بمن تحبّه" [4]. وجاء عند الجوهري:" النِعْمَةُ: اليدُ، والصنيعةُ، والمِنَّةُ، وما أُنْعِمَ به عليك. وكذلك النُعْمى. فإن فتحت النون مددت فقلت: النَعْماءُ. والنَعيمُ مثله. وفلانٌ واسعُ النِعْمَةِ، أي واسع المال"[5].

---

(2) https://jcois.uobaghdad.edu.iq/index.php/2075_8626/article/view/416/465

(3)]]) http://andalusuniv.net/AUSTNEW/magazine/sh/2020/7/38/b4131460d5e8d53b176d0a118d162b6e.pdf

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة باب النون والعين وما يثلثهما مادة(نعم) (446/5).

(5) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، حرف النون مادة(نعم) (ص: 239).

وجاء في "المفردات": النِّعْمَةُ: الحالةُ الحسنةُ، وبِنَاء النِّعْمَة بِناء الحالةِ التي يكون عليها الإنسان كالجِلْسَة والرِّكْبَة. والنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ، وبِنَاؤُها بِنَاءُ المَرَّة من الفِعْلِ كالضَّرْبَة والشَّتْمَة، والنِّعْمَةُ للجِنْسِ تقال للقليلِ والكثيرِ. قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[النحل: 18]. و(النَّعيم) النِّعمة الكثيرة، قال سبحانه: ﴿**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[الواقعة: 12] "[6].

المطلب الثاني: معاني النعمة في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (نعم) وما اشتق منها في القرآن الكريم في مائة وثمانية وثلاثين موضعا، وقد جاءت بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم بالمعاني الآتية:

الأول: الصلاح والحالة الحسنة والمُستلذّة؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾[لقمان: 20]، وتشمل الهيئة الحسنة للظاهر والباطن؛ قال الألوسي:" وأسبغ أي أتم، وأوسع عليكم نعمه جمع نعمة وهي في الأصل الحالة المستلذة، فإن بناء الفعلة كالجلسة والركبة للهيئة، ثم استعملت فيما يلائم من الأمور الموجبة لتلك الحالة إطلاقا للمسبب على السبب، وفي معنى ذلك قولهم: هي ما ينتفع به ويستلذ، ومنهم من زاد ويحمد عاقبته "[7]. وقال الضّحاك: "الباطنة المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء"[8].

وهذه النعم العامة غير متناهية ولا تدخل تحت العد والحصر؛ قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[النحل: 18]. قال البيضاوي:" لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها، فإنها غير متناهية، وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة"[9]، فقد استأثر الله تعالى بمعرفة حجمها ولم يجعل لنا سبيل لإدراكها بتمامها؛ قال الزمخشري:" لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها، هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال، وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله".[10]

الثاني: النِّعمة بمعنى الحجّة والمِنَّة، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم في شأن بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ** ﴾[البقرة: 40]؛ قال الرازي:" اعلم أنه تعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد ﷺثم قرنه بالوعيد"[11]. فقد امتن الله تعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة، وذكّرهم وذريتهم بها لتكون عليهم حجّة وحتى لا يتكرر نفس الطغيان مع النبي الذي أرسل للعالمين، فقد ذكر الحسن البصري أنه أراد نعمه على آبائهم، إذ نجاهم من آل فرعون، وجعل منهم الأنبياء، وأنزل عليهم الكتب، وفجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، والنعم على الآباء، نعم على الأبناء، لأنهم يشرفون بشرف آبائهم"[12]؛ فالله تعالى يقيم عليهم الحجة بكل تلك النعم، "وكان من شأنها أن تحملهم على الشكر والطاعة، ولكنهم وهم أهل حسد وحقد على الناس، اتخذوها ذريعة للكفر والطغيان، وحسبوها اختصاصا من الله تعالى وتدليلا، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فزادوا بالنعمة كفرا وطغيانا"[13].

ثالثا: النعمة بمعنى الوحي والرسالة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿**وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[البقرة: 211]، يعني بالنعمة الإسلام، وما جاء فيه من شرائع للناس كافة إلى يوم الدين؛ قال الطبري:" عني "بالنعم" جل ثناؤه: الإسلام وما فرض من شرائع دينه، ويعني بقوله: "ومن يُبدّل نعمة الله " ومن يغير ما عاهد الله في نعمته التي هي الإسلام، من العمل والدخول فيه فيكفر به، فإنه معاقبه بما أوعد على الكفر به من العقوبة، والله شديد عقابه، أليم عذابه"[14]. وقد قرر الزمخشري نفس المعنى في تفسيره لهذه الآية بقوله:" ونعمة الله: آياته، وهي أجل نعمة من الله؛ لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة، وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم"[15]. فالمقصود في هذه الآية بيان ما منّ الله به تعالى على بني إسرائيل من آيات بينات ليهتدوا بها من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق والهداية والفلاح، وهي أعظم نعمة يمكن أن ينعم بها العباد، لأن فيها النجاة وحسن العاقبة؛ فاستحقّوا بتبديل تلك النّعم نقمة الله وعقابه. يقول الطاهر بن عاشور:" وقوله ومن يبدل نعمة الله تذييل لجملة سل بني إسرائيل كم آتيناهم إلخ، أفاد أن المقصود أولا من هذا الوعيد بنو إسرائيل المتحدث عنهم بقوله: (سل بني إسرائيل)،

---

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن مادة نعم (ص: 814).

([(7)]) الألوسي، روح المعاني(93/21).

(8) ابن الجوزي، زاد المسير(324/6)، والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (1645/4).

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي (200/3).

(10) الزمخشري، الكشاف (382/3).

(11) الفخر الرازي، روح المعاني (50/3).

(12) الماوردي، النكت والعيون (111/1)

(13) أبو زهرة، زهرة التفاسير(206/1).

(14) الطبري، تفسير الطبري (273/4).

(15) الزمخشري، الكشاف (420/1).

وأفاد أن بني إسرائيل قد بدّلوا نعمة الله تعالى فدل ذلك على أن الآيات التي أوتيها بنو إسرائيل هي نعم عليهم وإلا لما كان لتذييل خبرهم بحكم من يبدل نعم الله مناسبة وهذا مما يقصده البلغاء، فيغني مثله في الكلام عن ذكر جمل كثيرة إيجازا بديعا من إيجاز الحذف وإيجاز القصر معا؛ لأنه يفيد مفاد أن يقال: كم آتيناهم من آية بينة هي نعمة عليهم فلم يقدروها حق قدرها، فبدلوا نعمة الله بضدها بعد ظهورها فاستحقوا العقاب ؛ لأن من يبدل نعمة الله فالله معاقبه"[16]. وبما يقرب من هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[آل عمران: 103؛ حيث إن المقصود بالأصالة هنا ما يتحقّق بسبب الإسلام من محبّة وأخوة وسلامة ذات بَينٍ؛ قال الزمخشري:" كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف الله بين قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا "إخوانا": متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف، وهو الأخوة في الله"[17]. وسبب تلك النعمة العظيمة هو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اختاره الله وتعالى وصنعه ليكون حاملا لرسالة الاسلام إلى العالمين؛ قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾[سورة إبراهيم: 28]، قال الطبري:" غيّروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه، فجعلوها كفرا به، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا في نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم، وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به، وكذبوه، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا"[18].

الرابع: النعمة بمعنى الإيمان؛ وقد ذكر ذلك المفسرون في بيان معنى قوله تعالى: ﴿**فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً** ﴾

[سورة الحجرات: 8]، والمعنى أنّ الله حبّب لعباده الإيمان، وأنعم عليهم هذه النّعمة التي عدها فضلاً منه، وإحساناً ونعمة منه أنعمها عليهم. ومن هذا القبيل قوله سبحانه :﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[الزخرف: 59]، "أي: فما عيسى عليه السلام إلا عبد من عباد الله، أنعم عليه بالتوفيق والإيمان، وجعله آية لبني إسرائيل، وحجة لله عليهم، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عما يقولون عُلّوا يقولون "[19].

الخامس: النعمة بمعنى الأمن والاستقرار وصلاح الحال؛ وذلك مصداق قوله تعالى ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ** ﴾[النحل: 112]، هذا الكفران دليله السعي في الأرض بالفساد والفتنة في أرض الله التي أنعم الله عليها بنعمة الاستقامة على الدين والأمن والأمان وزرع بذور الفتنة التي تحرق نارها البلاد والعباد ويتعدّى شرها المستطير إلى من لم يحضرها؛ يقول ابن الجوزي:" وبيانه ما روى سليم بن عنز، قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسألتهما عنه فقالا: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه:(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة)، تعني حفصة: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، (فكفرت بأنعم الله) عند قتل عثمان رضي الله عنه. ومعنى (كانت آمنة) أي: ذات أمن يأمن فيها أهلها أن يغار عليهم، (مطمئنة) أي: ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق. وقوله:(من كل مكان) أي: يجلب إليها من كل بلد، وذلك كله بدعوة إبراهيم عليه السلام، (فكفرت بأنعم الله) بتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم"[20]. والقرية المذكورة هنا ليست إلا مثالا لكل الأمم الظالمة والطوائف المنحرفة الخارجة عن منهج الله القويم، الساعية في الأرض بالضلال والفتن؛ يقول الزمخشري:" (وضرب الله مثلا قرية): أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولّوا، فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن تراد قرية مُقدّرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها، (مطمئنّة): لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف"[21].

السابع: النعمة بمعنى الثواب، وقد جاء هذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران: 171]؛ قال ابن عطية:" كد تعالى استبشارهم بقوله: "يستبشرون بنعمة" ثم بين تعالى بقوله: "وفضل" فوقع إدخاله إياهم الجنة الذي هو فضل منه لا بعمل أحد، وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنها على قدر الأعمال"[22]. ويقول الزمخشري:" بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به، وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة، والجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم، وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في

(16) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (288/2).

(17) الزمخشري، الكشاف (601/1).

(18) الطبري، تفسير لطبري (5/17).

(19) الطبري، تفسير الطبري (628/1).

(20) ابن الجوزي، زاد المسير (500/4).

(21) الزمخشري، الكشاف (478/3).

(22) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (421/2).

الله، وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب، وكرر "يستبشرون" ليعلق به ما هو بيان لقوله: ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع"[23].

الثامن: النَّعمة بمعنى التّرف، والترف شيء آخر غير الغنى وسعة الرزق؛ فهو "الاشتغال بالمال واللّذات، وإيثار ذلك على الآخرة"[24]، و"المترف الذي أبطرته النعمة وسعة المعيشة"[25]. فالتّرف اشتغال بالنّعمة عن المنعم وكفرانها؛ قال تعالى:(﴿ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا**﴾[سورة المزمل: 11 (المزمل:11)؛ والنَّعمة بالفتح التنعّم، وبالكسر: الإنعام وبالضم: المسرة[26]، لذلك فالمقصود في هذه الآية الترفّه بالمال مع كفران النعمة؛ قال السعدي:" قوله: أولي النعمة أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله كما قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ**﴾[سورة العلق: 6 (العلق:6)"[27]. يقول تعالى: (﴿**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[سورة هود: 116؛"أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتّترُّف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم"[28].

التاسع: النعمة بمعنى لزوم الاستقامة؛ يقول تعالى في سورة الفاتحة: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ. غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [سورة الفاتحة: 7]، يقول ابن الجوزي: " (اهدنا الصراط المستقيم) أي: دُلَّنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا... وهذا الصراط المستقيم هو: صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"[29]. فالإنعام المقصود هنا هو لزوم منهج الهداية والتوفيق، الذي سلكه من ثبّته الله على الإيمان من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فنالوا بذلك أفضل الدرجات.

العاشر: النعمة بمعنى الاستدراج، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ **فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ**﴾[سورة الفجر: 15 (الفجر:15) أي:" يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا قدر عليه رزقه أي: ضيقه، فصار بقدر قوته لا يفضل عنه، أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان: بقوله كلا أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل"[30]. وقد تكرر في القرآن الكريم التعرّض لبيان حال المستدرَجين بالنعم العاجلة ومن ذلك قوله تعالى:﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾[سورة المؤمنون: 55]، قال الرازي:" هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم في المعاصي، واستجرارا لهم في زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة في الخيرات، و(بل) للاستدراك لقوله: (أيحسبون) يعني بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا في ذلك، أهو استدراج أم مسارعة في الخير"[31].

الحادي عشر: النعمة بمعنى العافية والسلامة والنجاة؛ وقد ورد هذا المعنى للنعمة في قول الله تعالى: ﴿ **فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾[آل عمران: 174؛ يقول الطبري: "بنعمة من الله"، يعني: بعافية من ربهم، لم يلقوا بها عدوا"[32]، فقد عادوا سالمين، وهذا معنى: (لم يمسسهم سوء) أي: لم تنزل بهم جراح، بل إنه حتى الأمر الذي يسوء هم لم يمسسهم بل قد عادوا فرحين مستبشرين؛ عادوا كما خرجوا لم يقتلوا ولم يقاتلوا، وصحبتهم في هذه العودة نعمة السلامة إذ خذل الله أعداءهم وثبطهم وألقى الرعب في قلوبهم وأحسوا بأنهم وحدهم لا قبل لهم بمحمد. وروى البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: فانقلبوا بنعمة من الله وفضل

(23) الزمخشري، الكشاف (658/1).

(24) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (100/9).

(25) الرازي، مفاتيح الغيب (60/18).

(26) الرازي التفسير الكبير (160/30) والزمخشري، الكشاف (246/2).

(27) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1898/8).

(28) الزمخشري، الكشاف (3/ 246).

(29) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (31/1).

(30) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان (1967/1).

(31) الرازي، التفسير الكبير للفخر الرازي (91/23).

(32) الطبري، تفسير الطبري (414/7).

قال: "النعمة أنهم سلموا، والفضل أن عِيرًا مرت في أيام الموسم، فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالا، فقسمه بين أصحابه"[33].

الثاني عشر: النعمة إتمام الشرائع وإكمال الدين بتشريع الرّخص؛ وذلك تخفيفا على الأمة وللتيسير عليها في وقت الشدّة والمشقة؛ وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ، وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[المائدة: 6]. يقول ابن الجوزي: "قوله تعالى: (وليتمّ نعمته عليكم): في الذي يتم به النعمة أربعة أقوال؛ أحدها: بغفران الذنوب...والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد والثالث: بالرخصة في التيمّم، قاله مقاتل، وأبو سليمان. والرابع: ببيان الشرائع، ذكره بعض المفسرين"[34]. ويقول القرطبي:" وليتمَّ نعمته عليكم أي: بالترخيص في التيمّم عند المرض والسفر، وقيل: بتبيان الشرائع، وقيل: بغفران الذنوب ؛ وفي الخبر (تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار). لعلكم تشكرون أي: لتشكروا نعمته فتقبلوا على طاعته "[35]. وإلى نفس المعنى ذهب الطاهر بن عاشور بقوله:" (وليتم نعمته عليكم) أي يكمل النعم الموجودة قبل الإسلام بنعمة الإسلام، أو ويكمل نعمة الإسلام بزيادة أحكامه الراجعة إلى التزكية والتطهير مع التيسير في أحوال كثيرة. فالإتمام إما بزيادة أنواع من النعم لم تكن، وإما بتكثير فروع النوع من النعم" [36]. وذهب الزمخشري إلى أن المقصود بالنعمة هنا إتمام العزائم بالرخص وهو من كمال الدين أيضا، حيث يقول:" وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم "[37].

المبحث الثاني: أقسام النعم في القرآن الكريم

النعم أصناف كثيرة، وتنقسم باعتبارات عدّة إلى عدة اقسام:

أولا: بحسب حصولها في الدنيا أو في الآخرة:

دلت نصوص الوحي أن النّعم منها ما يكون في الدنيا ومنها ما يكون في الآخرة، وهي تبعا لذلك تنقسم إلى نعم حقيقية وأخرى مجازية.

أ- أقسام النعم باعتبار وقتها:

وهي قسمان: الأول: هو ما يعجّله الله لعباده في الدنيا، والثاني هوما يدّخره الله تعالى ليوم القيامة. وكل ذلك بحكمة منه سبحانه وتعالى، ولا يعلم حقيقة ذلك بتمامه إلا الله تعالى، وفي ذلك يقول تعالى في سورة النحل وهي سورة النّعم:﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: 30]، وفي آية أخرى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[النحل: 41]. وقال تعالى في هذه السورة: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سورة النحل: 97]، وغيرها من الآيات التي يبين فيها الحق سبحانه أن النعم ليست مقتصرة على ما يدركه الانسان في الدنيا، بل تشمل ما سوى ذلك مما هو في علم الله في الآخرة؛ يقول ابن القيم "فقد تكرَّر هذا المعنى في هذه السورة دون غيرها في أربعة مواضع لسرٍّ بديع، فإنها سورة النِّعم التي عدَّد الله سبحانه فيها أصولَ النعم وفروعَها. فعرَّف عبادَه أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعافَ هذه بما لا يُدرَك تفاوتُه، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعمًا أخرى؛ ثم في الآخرة يوفّيهم أجورَ أعمالهم تمامَ التوفية. وقال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**﴾ [هود: 3]"[38]. فالحياة الطيّبة قوامها الرزق الحلال الحسن الطيب؛ يأكل حلالا ويلبس حلالا ويركب حلالا، وينعم الله عليه بالقناعة التي هي ملاك الأمر كله، حتى إذا صار العباد إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

ب- أقسام النعم باعتبارها حقيقية أو مجازية :

وهذا القسم مرتبط بالذي قبله، ذلك أن حقيقة النعم مرتبطة بزمن حصولها؛ فقد دلّ القرآن الكريم على أن نعم الدنيا مجاز ونعم الآخرة حقيقة؛ ذلك أن حقيقة النعمة هي سعادة الآخرة وتسمية ما سواها سعادة مجاز. يقول تعالى:" ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞ، وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:64]؛ فقد سمُّيت الدنيا كذلك لأنها فانية، والحيوان معناه الحياة الدائمة والباقية؛ فما يعطيه الله الأغنياء من الدنيا يضمحلُّ ويزول، وقد ورد تشبيهه باللعب لأنه لا حقيقة له ولا ثبات، يقول الطبري:" ما باغي لذّات الحياة التي أدنيت لكم وقربت منكم في داركم هذه، ونعيمها وسرورها، فيها، والمتلذذ بها، والمنافس عليها، إلا

---

(33)القاسمي، محاسن التأويل (1040/4).

(34) ابن الجوزي، تفسير زاد المسير (299/2).

(35) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (47/6).

(36) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير (126/6).

(37) الزمخشري، الكشاف (201/2).

(38) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ص:519).

في لعب ولهو، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها بملاذها، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها، فتمر عليه وتكدر، كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه، ثم يعقبه منه ندما، ويورثه منه ترحا"( ). فثبت أن اللّذات والأحوال الدنيوية المُستطابة لعب ولهو وليس لها حقيقة معتبرة، إنما تسمى نعما على سبيل المجاز؛ يقول ابن القيم: "اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بوسطة واحدة أو بوسائط فإن تسمية نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية"[39].

ثانيا: أقسام النعم باعتبار النّفع والضر:

جعل الله سبحانه وتعالى اللّذائذ ألوانا، وجعل منها النافع والضار، بحسب مشيئته سبحانه. فليس كل ما يظهر للرائي لذّة هو فعلا نعمة، فقد يكون المنع عين العطاء وقد يكون العطاء حين السّلب، وكل ذلك باعتبار الحال والمآل. يقول تعالى في شأن الخمر والميسر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [سورة البقرة: 219]، ولا يدرك ذلك إلا أولو الألباب؛ يقول الإمام الغزالي:" الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى: ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق، وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال المضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوة، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس. فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقاً والضار فيهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع في الحال في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال"[40].

ثالثا: أقسام النعم: بحسب تجددها واستمرارها:

تنقسم النعم بهذا الاعتبار إلى قسمين: مستمرة ومتجددة، ولكل واحدة منها سبيل إلى شكرها" فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شرع لها سجود الشكر، شكرًا للّه عليها، وخضوعًا له، وذلًّا، في مقابلة فرحة النعم وانبساط النفس لها، وذلك من أكبر أدوائها، فإن اللّه سبحانه لا يُحبُّ الفَرِحين ولا الأَشِرين، فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لرب العالمين، وكان في سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ما ليس في غيره. ونظير هذا السجود عند الآيات التي يُخوّف اللّه بها عباده كما في الحديث: (إذا رأيتم آية فاسجدوا) [41].

ولما انكسفت الشمس هرع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة والذكر إلى الصلاة وأمر بذلك أصحابه، والسبب في ذلك أن الكسوف من الآيات المتجددة، لذلك شرعت أثناءها الصلاة والسجود؛ يقول ابن القيم:" ومعلوم أن آياته تعالى لم تزل مشاهدة معلومة بالحسّ والعقل، ولكن تجدّدها يحدث للنفوس من الرهبة والفزع إلى اللّه ما لا تحدثه الآيات المستمرة، فتجدُّد هذه النعم في اقتضائها لسجود الشكر كتجدّد تلك الآيات في اقتضائها للفزع إلى السجود والصلاة"[42].

وقد يسأل سائل عن السر في تخصيص النعمة المتجددة بالسجود دون المستدامة، مع أن نعم الله على العباد دائمة؛ والجواب من وجوه: "أحدها: أن النعمة المتجددة تذكّر بالمستدامة، والإنسان موكّل بالأدنى والثاني: أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجدّدة، وكان أسهلها على الإنسان وأحبها إلى اللّه السجود شكرًا له، والثالث: أن المتجددة لها وقع في النفوس، والقلوب بها أعلَق، ولهذا يُهنّأ بها، ويُعزّى بفقدها"[43].

رابعا: أقسام النعم من حيث كونها أصولا وفروعا:

يعدّد الله سبحانه في القرآن من نعمه بأن من على عباده بنعمة الحياة والإيجاد من العدم، ثم أعطاهم آلات العلم، فيذكرُ الفؤادَ والسمعَ والأبصار، ومرةً يذكرُ اللسانَ الذي يُتَرْجِمُ عن القلب، وغير ذلك من النعم.

(39) الغزالي، إحياء علوم الدين(ص:99)

(40) المرجع السابق.

(41) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ص:296)، والحديث رواه أبو داوود في جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها باب السجود عند الآيات (حديث رقم: 1197).

(42) المرجع السابق.

(43) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:261).

لكن هذه النعم ليست على وزان واحد فمنها أصول ومنها فروع ومُكمِّلات؛ يقول ابن القيم رحمه الله في شأن سورة النِّعم" وهي سورة النحل التي ذكر فيها أصولَ النِّعم وفروعَها ومتمِّماتها ومكمِّلاتها، فعدَّدَ نعمَه فيها على عباده، وتعرَّف بها إليهم، واقتضاهم شكرَها، وأخبر أنه يتمُّها عليهم ليعرفوها ويذكروها ويشكروها، فأوَّلها في أصول النِّعم، وآخرُها في مكمِّلاتها، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: 78] "[44].

فالحياة أصل النعم ذلك أن أول ما أنعم الله به على عبيده هو أن خلقهم أحياء، ثمَّ أعطاهم الأسماعَ والأبصارَ والأفئدةَ التي هي آلات العلم. والدليل عليه قوله تعالى:﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: 28]، وهذا صريح في أن أصل النعم الحياة لأنه تعالى أول ما ذكر من النعم فإنما ذكر الحياة ثم إنه تعالى ذكر عقيبها سائر النعم وأنه تعالى إنما ذكر المؤمنين ليبين أن المقصود من حياة الدنيا حياة الآخرة والثواب، يقول الرازي:" فذكر تعالى من نعمه ما هو الأصل في النعم وهو الإحياء، فهذا هو المقصود الكلي"[45].

خامسا: أنواع النعم باعتبار طريق وصولها إلى العباد:

تنقسم النعم بالنظر إلى الطريق التي بها تصل إلى العباد إلى ثلاثة أقسام: " أحدها: نعمة تفرّد الله بها نحو أن خلق ورزق، ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار: 7]، ذلك أن الله تعالى لمّا وَصَفَ نفْسَه بالكَرَم، ذكَرَ هذه الأُمورَ الثَّلاثةَ كالدَّلالةِ على تحَقُّقِ ذلك الكَرَم. وثانيها: نعمة وصلت إلينا من جهة غيره بأن خلقها وخلق المنعم ومكنه من الإنعام وخلق فيه قدرة الإنعام وداعيته ووفقه عليه وهداه إليه، فهذه النعمة في الحقيقة أيضا من الله تعالى، إلا أنه تعالى لما أجراها على يد عبده كان ذلك العبد مشكورا، ولكن المشكور في الحقيقة هو الله تعالى، ولهذا قال:﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [سورة لقمان: 14]، فبدأ بنفسه، وقال عليه السلام: " **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** "[46]، وثالثها: نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 96]، وهي أيضا من الله تعالى لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى وفقنا على الطاعات وأعاننا عليها وهدانا إليها وأزاح الأعذار وإلا لما وصلنا إلى شيء منها، فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله "[47]. ورغم أن الطرق قد تبدو في ظاهره مختلفة إلا أن المصدر واحد وهذا ما يقرّره الله تعالى في قوله: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل: 53].

سادسا: أنواع النعم بحسب مراتبها:

النعم كلها من عند الله، لكن حكمة الله تعالى اقتضت ألاّ تكون على وزان واحد، فجعل بعضها أرفع من بعض، وجعل البعض منها في الدرجة الدنيا تصحيحا للأفهام ودفعا للأوهام. فالنعم مراتب كثيرة أقتصر على أعلاها وأدناها والحقيقي منها وغيره. وهي حسب مراتبها كالآتي:

1- **معرفة الله أفضل النعم:** يقول ابن القيم رحمه الله:" إن أفضل النعم وأجلها على الْإِطْلَاق نعْمَة مَعْرفَته تَعَالَى وحمده وطاعته فَإِن أُرِيد أَن فعل العَبْد يكون كفو النعم ومساويا لَهَا بِحَيْثُ يكون مكافئا للنعم عَلَيْهِ وَمَا قَامَ بِهِ من الْحَمد ثمنا لنعمه وقياما مِنْهُ بشكر مَا أنعم عَلَيْهِ بِهِ وتوفية لَهُ فَهَذَا من أمحل الْمحَال فَإِن العَبْد لَو أقدره الله على عباده الثقلَيْن لم يقم بشكر أدنى نعْمَة عَلَيْهِ بل الْأَمر"[48].

2- **صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة:** رغم أن صحة البدن تبدو بميزان الدنيا أفضل النعم، لكن لكونها نعمة عاجلة، فإنها في ميزان الله تبقى في مرتبة متأخرة. ولعل قائلا يقول إن هذه النعمة لها سوابق ولواحق، فلا بدلها من أسباب من مأكول ومشروب وحركة وتدبير وسعي وتوفيق وغيرها من النعم الكثيرة، لكن رغم كل ذلك تبقى في ذاتها دون الكثير من النعم الكبرى؛ يقول ابن القيم: "اعلم أنّا جمعنا النعم في ستة عشر ضرباً، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة "[49].

(44) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ص:293).

(45) الرازي، مفاتيح الغيب (138/2).

(46) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (حديث رقم: 1954)، وقال هذا حديث صحيح.

(47) الرازي، مفاتيح الغيب (31/3).

(48) ابن القيم، صيغ الحمد (ص:28).

(49) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (ص:109).

سابعا: أنواع النعم بحسب إدراكها:

يرجع عدم الإحاطة بحجم نعم الله إلى كثرتها وامتدادها، ثم إلى محدودية إدراكها من قبل العباد؛ مما يجعل الإحاطة بها في غير مقدور أي أحدٍ مهما بلغ علمه؛ يقول تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: 18]، فدلّت هذه الآية على أن " أن بني آدم لا يقدرون على إحصاء نعم الله لكثرتها عليهم"[50].كما أنّ العلم عطاء من الله وآلته نعمة من الله، لذلك فإن ما يتحصّل بها من علوم ومعارف موكولة إلى مشيئة الله سبحانه فيعرّف من يشاء بما يشاء ويصرفه عمّن يشاء، ومن ذلك إدراك حقائق النعم والعلم بها. فمن النعم من جعل لنا سبيل إلى إدراكها، ومنها ما حجب عنا واستأثر الله بعلمها؛ يقول ابن القيم:" النعم ثَلَاثَة: نعْمَة حَاصِلَة يعلم بهَا العَبْد ونعمة منتظرة يرجوها ونعمة وَهُوَ فِيهَا لَا يشْعر بهَا فَإِذا أَرَادَ الله إتْمَام نعْمَته على عَبده عرّفه نعْمَته الْحَاضِرَة وَأعْطَاهُ من شكره قيدا بِهِ حَتَّى لَا تشرد فَإِنَّهَا تشرد بالمعصية وتقيّد بالشكر ورفقة لعمل يستجلب بِهِ النِّعْمَة المنتظرة وبصّره بالطرق الَّتِي تسدها وتقطع طريقها ورفقة لاجتنابها وَإِذا بهَا قد وافت إِلَيْهِ على أتم الْوُجُوه وعرّفه النعم الَّتِي هُوَ فِيهَا فَلَا يشْعر بهَا "[51].

المبحث الثالث: أسباب حفظ النعم

ينقسم حفظ النعم إلى قسمين: حفظها من جانب الإيجاد بالإتيان بأسباب تحصيلها وإقامة أركانها أو باسترجاعها بعد فواتها، وحفظها من جانب العدم باجتناب ما يذهبها من أسباب زوالها. وتتمثل هذه الأسباب جميعها فيما يلي:

أ- الطاعات تجلب النعم وتحفظها من الزوال:

جعل الله الطاعات أسبابا للظفر بالنعم العاجلة والآجلة؛ كما جعلها الحق سبحانه حافظة لها من الزوال. يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [سورة الطلاق: 2]. وفي بيان معنى هذه الآية يقول أبو درّ رضي الله عنه:«جعَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتْلو عليَّ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ حتى فرَغَ منَ الآيةِ، ثُم قال: يا أبا ذَرٍّ، لو أنَّ الناسَ كلَّهم أخَذوا بها لَكَفَتْهم، قال فجعَلَ يَتْلوها، ويُردِّدُها عليَّ حتى نَعَسْتُ»[52].ذلك أن الرعاية لها تكون بالطاعات وخسارتها تكون بالمعاصي؛ والاستغفار من أعظم ما تحفظ به النعم وتستجلب؛ قال تعالى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[نوح: 10]. يقول ابن القيم: "إنّ نعم الله ما حُفِظ موجودُها بمثل طاعته، ولا استُجْلِبَ مفقودُها بمثل طاعته، فإنّ ما عنده لا يُنال إلا بطاعته. وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببًا وآفةً: سببًا يجلبه، وآفة تبطله. فجعل أسبابَ نعمِه الجالبةَ لها طاعتَه، وآفاتِها المانعةَ منها معصيتَه. فإذا أراد حفظَ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذَلَه حتى عصاه بها"[53].

ب- الصبر على البلاء (النعيم لا يدرك بالنعيم):

من سنن الله في خلقه سنّة الأضداد فجعل الأشياء تدرك بضدّها ومنها "أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن الراحة لا تنال بالراحة، وأن من آثر اللذات فاتته اللذات، فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم؛ إذ هي أسباب النعم"[54].

إن النّعم بمختلف مراتبها لا تنال إلا بقسط من المشقة، فالمطالب العليا حُفّت بالمكاره، والمسائل الدنيئة حُفَّت باليسر والشهوات، قال الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [سورة البلد:10] "الاقتحام الدخول في الأمر الشديد يقال: قحم يقحم قحوما، واقتحم اقتحاما وتقحم تقحما إذا ركب القحم، وهي المهالك والأمور العظام والعقبة طريق في الجبل وعر، الجمع العقب والعقاب، ثم ذكر المفسرون في العقبة ههنا وجهين:الأول: أنها في الآخرة وقال عطاء: يريد عقبة جهنم.... الوجه الثاني: في تفسير العقبة هو أن ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر، وهو قول الحسن ومقاتل: قال الحسن عقبة الله شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن، وأقول هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى يفاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه وبينها عقبات سامية دونها صواعق حامية، ومجاوزتها صعبة والترقي إليها شديد"[55]. فالمصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب؛ يقول ابن القيم:" وقد أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من آثر الراحة فاتته الراحة وانه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له ولا نعيم لمن لا شقاء له ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد

(50) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (362/2).

(51) ابن القيم، الفوائد (ص:172).

(52) رواه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (حديث رقم: 21551).

(53) ابن القيم، الجواب الكافي (ص:249).

(54) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل(ص: 285).

(55) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (168/31).

قليلاً استراح طويلاً وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة"[56]. فالمطالب والكمالات والمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة، فلا ينالها إلا من امتطى سفينة العزم والاجتهاد ومن أراد الراحة الأزلية فعليه ترك الراحة الزائلة؛ يقول ابن القيم: "فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من خلافها، فأخرج الأضداد والأشياء من خلافها...فكذلك أنشأ اللّذات من الآلام، والآلام من اللّذات، فأعظم اللّذات ثمرات الآلام ونتائجها، وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها"[57]. " عن عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، قَال: قَال لِي ابْن عَبَّاس: " أَلا أُرِيك امْرَأَة مِن أَهْل الجَنَّةِ ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِ، قَالَ: **(إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ)، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا** "[58].

ج- نسبة النعم إلى المنعم:

هذه النسبة تكون بذكر النعم والتحدّث بها والبراءة من الحول والقوة في تحصيلها ونسبة كل توفيق إليها لله تعالى بالاعتراف بأن هذه النعم من عنده سبحانه. ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [سورة الضحى: 11]. يقول القرطبي:" قوله تعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث)؛ أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء. والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر"[59]. ويقول صاحب الكشاف" التحديث بنعمة الله: شكرها وإشاعتها، يريد: ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك. عن مجاهد: بالقرآن، فحدث: أقرئه، وبلغ ما أرسلت به. وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول: رزقني الله البارحة خيرا: قرأت كذا وصليت كذا، فإذا قيل له: يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا؟ قال: يقول الله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدّث وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة الله. وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللّطف، وأن يقتدي به غيره، وأمن على نفسه الفتنة"[60]. ودليل ذلك عند العقلاء أن كل النعم هي من عند الله، فهو مرتّب النتائج على الأسباب، ولم ويجعل لأحد من المخلوقات سبيل إلى ذلك، ونسبة الفعل للأسباب دون المسبّب شرك؛ يقول تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله)(النحل:53). يقول أبو زهرة:" الذي بكم من نعمة في الصحة والعقل والغذاء والكساء والمأوى، والماء الذي تشربون، والدفء الذي به تستدفئون، كل هذا وغيره مما غمركم به من نعم سابغات، فمن الله تعالى المنعم المتفضل على غيره، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"[61]. يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: " الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلّية قدح في الشرع. وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع "[62].

وحتى الشكر الذي هو اعتراف وثناء من لدن المنعم عليه يجب ان يكون خالصا وان ينسب التوفيق فيه إلى الله تعالى وهذا تمام الشكر؛ يقول ابن القيم: "والكمال: أن تشهد النعمة والمنعم، لان شكره بحسب شهود النعمة، فكلما كان تم كان الشكر اكمل. والله يحب من عبده أن يشهد نعمه ويعترف بها، ويثني عليه بها، ويحبّه عليها، لا أن يفنى عنها، ويغيب عن شهودها...قال داوود عليه السلام: يا رب كيف أشكرك؟ وشكري لك نعمة علي من عندك تستوجب بها شكرا. فقال الآن شكرتني يا داوود"[63].

د- الشكر صيد وقيد (جالب وحافظ):

الشكر لغة: هو الثناء على من يُوليكَ بمعروف والقيام بحقّه، قال الراغب: "الشُّكر تصور النِّعمة وإظهارُها"[64]، وقال ابن منظور: "الشُّكر عِرفانُ الإحسان ونشرُه، والشُّكر من الله: المجازاةُ والثناءُ الجميلُ"[65]، وعرّف بأنه:" عِرفان النعمة وإظهارها والثناء بها"[66].

والشكر اصطلاحا: مقام من مقامات العبودية، فهو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، قال ابن القيم: الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً"[67]. وقيل: "شكر النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة، والقيام بالخدمة"[68]. وقيل: "الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة"[69].

---

(56) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ص:372-373).

(57) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص 285.

(58) أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح (حديث رقم: 5652)، ومسلم في البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (حديث رقم: 2576).

(59) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (89/20).

(60) الزمخشري، الكشاف (394/6).

(61) أبو زهرة، زهرة التفاسير (4195/8).

(62) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (8 / 169).

(63) ابن القيم، مدارج السالكين (ص:57).

(64) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم (ص: 265).

(65) ابن منظور، لسان العرب (2305/4).

(66) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص:371).

والشكر جالب النعم وحافظها بعد حصولها؛ يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [سورة لقمان: 12]، " بين سبحانه أن الشكر لا ينتفع به إلا الشاكر، ذلك أنّ "نفع ذلك راجع إليه، وفائدته حاصلة له، إذ به تستبقى النعمة وبسببه يستجلب المزيد لها من الله سبحانه"[70]. ولهذا كانوا يسمون الشكر "الحافظ"؛ فإنه الذي يحفظ النعم الموجودة، و"الجالب"؛ فإنه يجلب النعم المفقودة. وذكر ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال لرجل من همدان: "النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قَرَن، فلن ينقطع المزيد من اللَّه حتى ينقطع الشكر من العبد"[71].

والشُّكر قيد النِّعم الموجودة، وصيد النِّعم المفقودة، فهو مجلبة لها وحصن يمنع ذهابها وزوالها؛ قال عمر بن عبد العزيز: "قيِّدوا نعم اللَّه بشكر اللَّه"[72]. فالنعمُ تُقيّد بالشكر وتتفلّت بدونه؛ يقول ابن القيم: "فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرَّفَه نعمتَه الحاضرة وأعطاه من شكره قيدًا يُقيّدُها به حتى لا تَشرُد؛ فإنها تَشرد بالمعصية وتُقيَّدُ بالشكر. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصَّره بالطرق التي تسُدُّها وتقطع طريقها ووفَّقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافتْ إليه على أتم الوجوه. وعرَّفه النعمَ التي هو فيها ولا يشعر بها"[73].

وقد شرع سجود الشكر لأنه أحد أسباب حفظ النعم؛ ذلك أن "السجود ذلٌ للَّه وعبودية وخضوع، فإذا تلقّى به نعمته كسر سَوْرة فرح النفس وانبساطها، فكان جديرًا بدوام تلك النعمة، "[74].

هـ- الذكر جلّاب للنعم، دافع للنقم:

ذكر الله على كلّ حال ممّا تستمطر به نعم الله؛ فقد ورد عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [سورة الإسراء: 3]، قال: "لم يأكل شيئًا إلا حمد الله عليه، ولم يشرب شرابًا إلا حمد الله عليه، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبدًا شكورًا"[75]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا** "[76]. ويقول ابن القيم رحمه الله: "ما استُجْلِبَتْ نعم الله عز وجل واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلَّابٌ للنِّعَم، دفّاعٌ للنِّقَم، قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وفي القراءة الأخرى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ**﴾ [الحج: 38]، فَدَفْعُه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادَّةُ الإيمان وقُوَّتُه بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَصَ نَقَصَ، ذِكْرًا بِذِكْرٍ، ونسيانًا بنسيان"[77]. وقد ذكر البيهقيُّ عن زيد بن أسلم، أن موسى عليه السلام قال: "يا رب، قد أنْعَمْتَ عليَّ كثيرًا فَدُلَّني على أن أشكرك كثيرًا" قال: "اذكرني"[78].

الحمد مجلبة لزيادة النعم:

الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعمّ من الشكر من جهة أن الشكر لا يكون إلاّ على نعمة أسداها المشكور للشاكر، فالحمد يكون بغير مقابلة نعمة، أما الشكر فهو أعم من الحمد من جهة أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد باللسان فقط [79].

وقد جاءت مجموعة من فواتح السور مبدوءة بصيغة الحمد، منها قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]، يقول البغوي:" قوله" الحمد لله "؛ حمد الله نفسه تعليما لعباده، أي: احمدوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وفيهما العبر والمنافع للعباد"[80].ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿

(67) ابن القيم، مدارج السالكين (244/2).

(68) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:290).

(69)المرجع السابق.

(70) الشوكاني، فتح القدير (1142/1).

(71) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:226).

(72) ابن أبي الدنيا كتاب الشكر (ص: 13).

(73) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين(ص:227).

(74) المرجع السابق (ص: 262).

(75) ابن أبي الدنيا، كتاب الشكر (ص: 70).

(76) رواه مسلم (2734).

(77) ابن القيم، الوابل الصيب (ص: 173).

(78) ابن القيم، الوابل الصيب (ص:161).

(79) أحمد حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: 4).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: 1]؛ يقول الشنقيطي:" علّم الله جل وعلا عباده في أول هذه السورة الكريمة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم؛ وهي إنزاله على نبينا ﷺهذا القرآن العظيم، الذي لا اعوجاج فيه، بل هو في كمال الاستقامة، أخرجهم به من الظلمات إلى النور. وبين لهم فيه العقائد، والحلال والحرام، وأسباب دخول الجنة والنار، وحذرهم فيه من كل ما يضرهم، وحضهم فيه على كل ما ينفعهم، فهو النعمة العظمى على الخلق "[81]. والحمد حافظ للنعم من جانب العدم؛ جاء في عدّة الصابرين: "قال الحسن: ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما أعطى أكثر مما أخذ "[82].

المبحث الرابع: خصائص النعم

أولا: من خصائص النعم أنها لا تدخل تحت الحصر:

إن نعم الله على عبيده غير متناهية، فلا يمكن عدّها وحصرها قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا، إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النحل: 18]؛ يقول الطبري:" وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها"[83]. وقال القرطبي:" لا تحصوها ولا تطيقوا عدها، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها، كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق نعم لا تحصى"[84]. والاحصاء مأخوذ من الحصى لأنه كان وسيلة العدّ قديما، يقول الطاهر بن عاشور:" والإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصا اسما للعدد، وهو منقول من الحصى، وهو صغار الحجارة ؛ لأنهم كانوا يعدون الأعداد الكثيرة بالحصى تجنبا للغلط"[85]. ويقول ابن القيم: "وإنما لا يمكن ذلك، أي عني الحصر، لأن كل ما أودع فينا من المنافع واللذات التي ننتفع بها والجوارح والأعضاء التي نستعملها في جلب المنافع ودفع المضار وما خلق الله تعالى في العالم مما يلتذ به ويستدل على وجود الصانع وما وجد في العالم مما يحصل الانزجار برؤيته عن المعاصي مما لا يحصى عدده...فثبت أن جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد، ولما كانت العقول قاصرة عن تعديد ما في أقل الأشياء من المنافع والحكم فكيف يمكن الإحاطة بكل ما في العالم من المنافع والحكم"[86].

ثانيا: نعم الله على الكافر في الدنيا استدراج:

الاستدراج في اللغة "استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال، درجة بعد درجة "[87]. وفي الاصلاح إغراء العبد بما يشتهيه لإيقاعه في عاقبة السوء من حيث يظن أنّه في النعمة. فقد جاء عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تلا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:** ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [سورةالأنعام:44]"[88].
وسبب الاستدراج اغترار المستدرج بحلم الله وعدم أداء حق النعمة ومقابلة ذلك بالاستكبار والظن أن ما أوتيه سببه محبة الله له، فيستمر منغمسا في المعصية والمخالفات حتى يحلّ به غضب الله.

فالنعم التي يصيبها الكافر في الدنيا استدراج وإملاء، فهي أشبه ما تكون بالحلوى التي فيها سم، ظاهر الحلوى النعمة وباطنها الهلاك؛ فلم يعد النفع الحاصل من أكل الحلوى نعمة؛ لهذا قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [آل عمران: 178].يقول السعدي:" أي: ولا يظن الذين كفروا بربهم ونابذوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خير لأنفسهم، ومحبة منا لهم.كلا ليس الأمر كما زعموا، وإنما ذلك لشر يريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) ولهم عذاب مهين فالله تعالى يملي للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر"[89].

---

(80) البغوي، معالم التنزيل (125/3).
(81) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (191/3).
(82) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:131).
(83) الطبري، تفسير الطبري (16/17).
(84) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (321/9).
(85) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (235/14).
(86) الرازي، مفاتيح الغيب (30/3).
(87) الرازي، مفاتيح الغيب (61/15).
(88) رواه الإمام أحمد في مسند الشاميين حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم (حديث رقم: 17311).
(89) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (263/2).

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ [سورة الأعراف: 182]. يقول الرازي:" المعنى سنقربهم إلى ما يهلكهم، ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم... ويتدرّجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم، ثم يأخذهم الله دفعة واحدة على غرتهم أغفل ما يكون، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما حمل إليه كنوز كسرى: (اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني سمعتك تقول: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾"(90).

ثالثا: تغيير النعم سنة إلهية:

السنة في اللغة:" السيرة حسنة كانت أو قبيحة. والأصل فيه الطريقة والسيرة"(91).قال الفيومي: "السنة: الطريقة. والسنة السيرة حميدة كانت أو ذميمة، والجمع سنن"(92).

وسنة الله في التغيير "هي: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناء على سلوكهم، وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"(93).

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: 11]، "أي إن الله تعالى لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية بأن يسلبها منهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم أي ما اتصفت به أنفسهم من الأحوال الحميدة، فإذا حصل هذا التغيير منهم فقدوا ما عندهم من نعمة"(94).

والتغيير منه الظاهر والباطن، فالأول يتعلق بما يصدر عن العباد من الأقوال والأفعال والثاني ما تخفيه الصّدور؛ قال ابن تيمية: "وهذا التغيير نوعان: أحدهما: أن يبدو ذلك فيبقى قولا وعملا يترتب عليه الذم والعقاب، والثاني: أن يغيّروا الإيمان الذي في قلوبهم بضدّه من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور "(95). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: 53]، فنعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودواما بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها؛ "فمادامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكّنة فيها، كانت تلك النعم ثابتة بثباتها حسب سنة الله تعالى العامة في خلقه، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب من محاسن الأعمال غير الله عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم فصار الغني فقيرا والعزيز ذليلا والقوي ضعيفا، هذا هو الأصل المطرّد في الأقوام والأمم وكذلك في الأفراد(96).

ومن أمثلة تغيير الله لنعمه ما ورد في شأن أهل سبأ، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا، وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سورة سبأ: الآيات 15-17]. فهذه الآيات تصف حال أهل سبأ، وقد كان من أخبارهم انهم كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وفي عيشهم واتساع أرزاقهم، وقد بعث الله إليهم الرسل تأمرهم بأن يأكلوا من رزقه ويتمتعوا بنعمه ويشكروه عليها، لكنهم أعرضوا عن توحيد الله وشكره وعبدوا غيره، فأرسل عليهم المطر الشديد، فأغرق أرضهم وأهلك أقواتهم. وبدّل سبحانه النعم السابقة ببساتين ذواتي أكل خمط وأثل وقليل من السدر. ثم بين تعالى أن ما حل بهم من العقاب "إنما هو جزاء كفرانهم النعمة التي أنعم الله بها عليهم، وهل يعاقب إلا الكفور بنعم الله تعالى"(97).

المبحث الخامس: أسباب زوال النعم

من سنن الله في خلقه أن لا يغير أحوال الناس من الخير إلى الشر إلا بتوفّر الأسباب المؤدية إلى ذلك ومنها:

أولا: المعاصي والذنوب:

من عقوبات الذنوب، أنها تذهب النعم، وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب اقترفه، ولا نزل به نقمة إلا بمعصية؛ قال الله تعالى: ﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء: 79]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا**

(90) الرازي، مفاتيح الغيب (61/15).

(91) ابن منظور، لسان العرب (ص: 399-400)

(92) الفيومي، المصباح المنير (ص:292)

(93)عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية (ص:13).

(94) أنظر الزمخشري، الكشاف (2/ 517) والألوسي، روح المعاني (13/ 16).

(95) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (109/14)

(96) رشيد رضا، تفسير المنار(1/ 37).

(97) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(3/ 530) والزمخشري، الكشاف (3/ 573-574) والألوسي، روح المعاني(22/ 126).

أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. وقال تعالى: **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾** [الأنعام: 6]. قال علي رضي الله عنه: " ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة [98]. "فأخبر الله تعالى أنه لا يغيّر نعمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه؛ "فإذا غيّر غيّر الله عليه، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد"[99]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "**يا معشرَ المُهاجِرينَ، خِصالٌ خمسٌ إذا نزلْنَ بكم -وأعوذُ باللهِ أنْ تُدرِكوهنَّ- لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعلِنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطَّاعونُ والأوجاعُ الَّتي لم تكُنْ مضَتْ في أسلافِهم الَّذين مَضَوا قبلَهم، ولا انتقَصوا المكيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذوا بالسِّنينَ وشِدَّةِ المؤنةِ وجورِ السُّلطانِ عليهم، ولم يَمنَعوا زكاةَ أموالِهم إلَّا مُنِعوا القَطْرَ من السَّماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا، ولم يَنقُضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلَّا سلَّطَ اللهُ عليهم عدوًّا من غيرِهم، فأخَذَ بعضَ ما في أيديهم، وما لم يَحكُمْ أئمَّتُهم بما أنزَلَ اللهُ وتَخيَّروا فيما أنزَلَ اللهُ عَزَّوجَلَّ، إلَّا جعَلَ اللهُ بأْسَهم بينهم**"[100].

قال ابن القيم: "وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾** [الرعد: 11]، ومن تأمل ما قصّ الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب. فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن البعد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النّعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس، ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له"[101].

ثانيا-الظلم:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: 13]؛ يخبر الله تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بسبب ظلمهم وكفرهم، بعدما جاءتهم البينات على أيدي رسله ومنهج الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. ف سلبهم نعمه وأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم. وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102] [102]. هذا مثال مضروب للقرى القائمة الظالمة وقياس على الأمم الظالمة التي سبقت كغرق قوم نوح، والرجفة التي أخذت ثمود ومدين، وغيرهم يقول أبو زهرة:" وإن ذلك الماضي إنذار للحاضرين من القرى الظالمين كالمشركين في مكة الذين يتحدون الله ورسوله، ويحسبون أنهم الغالبون، والله تعالى غالب على أمره...فقال عز من قائل: (إن أخذه أليم شديد) أي: إن أخذه المفاجئ الذي لا يرتقبونه فوق ما فيه من ألم المفاجأة، وهم يرتعون ويلعبون هو في ذاته مؤلم موجع وشديد في إيلامه وفي حاله، وحالهم معه كانوا ينتظرون مطرا يُمطرهم، فإذا هو ريح فيها عذاب أليم"[103]. وقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: 160]. يقول الألوسي " فإنهم كانوا كلّما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم"[104].

4-ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب عظيم من أسباب زوال النعم؛ ذلك ان النقمة لا تحلّ بالظالمين وحدهم، بل تتعدّاهم إلى غيرهم إذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [سورة الأنفال: 25]. يقول أبو السعود:"(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أي: لا

(98) أنظر ابن القيم، طريق الهجرتين (ص:415)، وانظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى (163/8).

(99) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (75/1).

(100) رواه ابن ماجة في الفتن باب العقوبات من حديث ابن عمر(4009)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(106).

(101) ابن القيم، بدائع الفوائد (432/2).

(102) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة هود، باب قوله "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" (حديث رقم: 4686).

(103) ابن زهرة، زهرة التفاسير (3751/7).

(104) الألوسي، روح المعاني (14/6).

تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمّه وغيره، كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهنة في الأمر والنهي عن المنكر، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد"[105].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَثَلُ المُدْهِنِ في حُدُودِ اللَّهِ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ في أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ في أَعْلَاهَا، فَكانَ الذي في أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بالمَاءِ علَى الَّذِينَ في أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا به، فأخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فأتَوْهُ فَقالوا: ما لَكَ، قالَ: تَأَذَّيْتُمْ بي وَلَا بُدَّ لي مِنَ المَاءِ، فإنْ أَخَذُوا علَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وإنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ**"[106]. في هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالفتنة إذا عمت هلك الكل. وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها. روى ابن وهب عن مالك أنه قال:" تُهجَر الأرض التي يُصنَع فيها المنكر جهارا ولا يُستَقَرُّ فيها"[107].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها" **أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ اسْتَيْقَظَ مِن نَوْمِهِ وهو يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه. وَعَقَدَ سُفْيَانُ بيَدِهِ عَشَرَةً. قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ، إذَا كَثُرَ الخَبَثُ.** "[108]. وعن جرير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما من رجُلٍ يكونُ في قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي يقدِرونَ على أنْ يُغيِّروا عليه، فلا يُغيِّروا إلَّا أصابَهم اللهُ بعذابٍ من قبلِ أنْ يموتوا** "[109].

5- كفران النّعم:

السبب الرئيس لزوال النعم هو كفرانها وعدم شكرها، وقد قرر الله ذلك في قصة القرية التي ضربها مثلاً في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[سورة النحل:112]، فكفرهم بنعم الله وعدم شكرها كان سبباً في نزول البلاء وزوال النعمة. يقول الطبري:" أي أنها بدل أن تشكر نعمة الله إذ منحها الأمن والعيش الرغد الهنيء، وهذا أقصى ما يطلب لمثل هذه القرية، بدل هذا كفرت، أي: رتبت على النعمة الكفر بها، وهذا عكس ما يترقب، ويتوقع منها. فكان هذا فيه معنى التوبيخ أو التهكم بأمرها، و(الأنعم) جمع نعمة، أو جمع نعمى، والمعنى النعم العالية التي بلغت أقصاها"[110].

فالإعراض عن الله وكفران النعمة سبب في زوالها وحلول ضدّها؛ قال تعالى ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[سورة سبأ: 16]. يقول الطاهر بن عاشور:" والمعنى: ما يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور لأن ذلك الجزاء عظيم في نوعه، أي نوع العقوبات فإن العقوبة من جنس الجزاء. والمثوبة من جنس الجزاء فلما قيل ذلك جزيناهم بما كفروا تعين أن المراد: وهل يجازى مثل جزائهم إلا الكفور"[111]. ويقول الألوسي:" (بما كفروا): بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها، وقيل بسبب كفرهم بالرسل الثلاثة عشر الذين بعثوا إليهم، (وهل يجازى إلا الكفور) أي ما نجازي مثل هذا الجزاء الشديد المستأصل إلا المبالغ في الكفران أو الكفر"[112].

7- الغفلة:

الغفلة في اللغة تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوَاً وربما كان عن عَمْد، من ذلك غفلتُ عن الشَّيْءِ غَفْلَةً وغُفُوْلاً، وذلك إذا تَرَكْتَه ساهياً، وأغْفَلْتَه إذا تَرَكْتَه على ذُكرٍ منك له"[113]. ويدور معنى الغفلة في الاصطلاح حول معاني "السهو الناجم عن قلة التحفظ أو مانع يحول بين المرء وحقائق الأمور، أو ذهاب الشيء عن المرء لانشغاله بغيره أو الاعراض وعدم الاعتبار[114]. والغفلة تعتري الناس، فهي طارئة غير لازمة

(105) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (17/4).

(106) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات (حديث رقم: 2686)، والترمذي في كتاب أبواب الفتن باب منه (حديث رقم: 2173) واللفظ له.

(107) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (350/7).

(108) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء باب قصة ياجوج وماجوج من حديث زينب بنت جحش (3097).

(109) رواه أبوداود في الملاحم باب الأمر والنهي(3776).

(110) أبو زهرة، زهرة التفاسير (4825/4).

(111) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (174/23).

(112) الألوسي، روح المعاني (129/22).

(113) ابن فارس، مقاييس اللغة (386/4)، باب الغين والفاء وما يثلثهما مادة(غفل).

(114) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم(ص: 462)، والبغوي، معالم التنزيل (123/4)، والشوكاني، فتح القدير (613/1).

للإنسان بحيث تلتصق بالإنسان وتنفك عنه وتذهب، لكن الإصرار عليها يحوّلها إلى دأب وسجية، يقول الطاهر بن عاشر في الغافلين الذين لا يخافون لقاء الله:" غفلتهم عن آيات الله دأب لهم وسجية، وأنهم يعتمدونها فتؤول إلى معنى الإعراض عن آيات الله وإباء النظر فيها عنادا ومكابرة. وليس المراد من تعرض له الغفلة عن بعض الآيات في بعض الأوقات"[(115)].

والغفلة من أسباب حجب النعم؛ يقول الغزالي:" "اعلم أنّه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصوّر شكر النعمة إلا بعد معرفتها "[(116)]. قال تعالى:﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[الأعراف: 179]. فقد أخبر تعالى أنه خلق للنار أهلا عقابا لهم، ثم وصفهم بأنهم يمتلكون قلوبا غافلة لا تفقه، ولا تعقل ثوابا ولا عقابا، فلا يرجون ولا يخافون، ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى، ولا تسمع آذانهم المواعظ، فهم كالأنعام منتهى غاياتهم الشهوات، بل إن الأنعام أكثر بصيرة منهم لأن الأنعام تُبصر منافعها ومضارّها ولا تعصي مالكها. يقول الألوسي: "(هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة عما فيه صلاحهم. وقال عطاء: عما أعد الله تعالى لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب"[(117)].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس: 7]. هؤلاء لا يتوقّعون لقاء الله أصلا، فهم محجوبون عنه لانغماسهم في الغفلة، ولانشغالهم باللّذات وحب المنافع الزائلة دون الفهم عن الله والانتباه للحقائق؛ انطمست بصائرهم فلا يخافون سوء المصير يوم القيامة، ورضوا بالحياة الدنيا، وسكنوا إليها. يقول الطبري: " هؤلاء الذين هذه صفتهم (مأواهم)، مصيرهم إلى النار نار جهنم في الآخرة (بما كانوا يكسبون) "[(118)].

الخاتمة

هذا ما يسره المنعم الكريم المنان من فهم في بيان حقيقة نعم الله وخصائصها وما يتصل بذلك من مسائل علمية، استقيتها من القرآن الكريم والحديث الشريف ودرستها مستندا ومسترشدا بأقوال العلماء، من المفسّرين وشراح الحديث وعلماء اللغة وغيرهم وقد تمكنت بفضل الله من التوصّل إلى النتائج الاتية.

- أنّ أصل النعمة المنفعة التي يستلذها الإنسان ويستطيبها القلب، سواء أكانت عاجلة أم آجلة، وسواء أكانت دنيوية أم كانت أخروية، وسواء أكانت مادية أم كانت روحية.
- أنّ النعمة في الاستعمال القرآني جاءت بمعنى الصلاح والحالة الحسنة والمُستلذّة، وجاءت بمعنى الحجّة والمِنّة، وجاءت بمعنى الوحي والرسالة، وجاءت بمعنى الإيمان ولزوم الاستقامة، وجاءت بمعنى الأمن والاستقرار وصلاح الحال، وجاءت بمعنى الثواب وجاءت بمعنى التّرف، وجاءت بمعنى الاستدراج وجاءت بمعنى العافية والسلامة والنجاة، وجاءت بمعنى إتمام الشرائع وإكمال الدين بتشريع الرّخص.
- أنّ النعم تنقسم باعتبارات كثيرة إلى عدة أقسام؛ فهي تختلف بحسب زمانها وباعتبار النّفع والضّر وبحسب تجددها واستمرارها ومن حيث كونها أصولا وفروعا وباعتبار طريق وصولها إلى العباد.
- أن النعم ليست على وزان واحد؛ وأفضلها وأجلّها مَعْرفَته تَعَالَى وحمده وطاعته.
- أنّ النعم حقيقية ومجازية؛ والحقيقية منها سعادة الآخرة وتسمية ما سواها سعادة مجاز.
- أنّ من النعم من جعل لنا سبيل إلى إدراكها، ومنها ما حجب عنا واستأثر الله بعلمها.
- أنّ النعم تستجلب وتحفَظ بالطاعات والصبر والشكر والذكر ونِسبتها إلى المُنعِم.
- أنّ النعم لا تدخل تحت الحصر.
- أنّ نعم الله على الكافر في الدنيا استدراج.
- أن حصول النعم وزوالها محكوم بسنن الله في خلقه.
- أنّ النعم تزول بالمعاصي؛ والغفلة رأس الموانع.
- أن النعم تسترجع بعد زوالها بالتوبة والعمل الصالح.

ويوصي الباحث بالأمور الآتية:

(115) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (99/12).

(116) الغزالي، إحياء علوم الدين(ص:123).

(117) الألوسي، روح المعاني(119/9).

[(118)] الطبري، تفسير الطبري (26/15).

- تعميق النظر في مفهوم النعمة بغرض التأسيس لفقه الاستئناف الحضاري، المبني على معرفة عوامل النهوض والسقوط، بما يمكّن الأمة من إعادة استكشاف المنهاج النبوي في التربية والتنظيم، فتسترجع المكانة الرفيعة التي خصّها بها ربّها سبحانه وتعالى.
- تخصيص سورة النّحل(سورة النّعم) بدراسة موضوعية وافية، لما فيها من القواعد والخصائص والمسائل العلمية الجامعة المتّصلة بمفهوم النّعم.
- البحث في الأبعاد التربوية لدراسة سنن الله في تحصيل النعم وزوالها في القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

▪ القرآن الكريم.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1422ه.
- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، مجمع الفقه الإسلامي - جدة، ط 1432.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1411ه - 1991م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة – المغرب، ط 1418ه - 1997م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الداء والدواء، دار ابن حزم (بيروت)، 1440 ه- 2019م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1398ه/1978م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، طريق الهجرتين وباب السعادتين، مجمع الفقه الإسلامي بجدة 1429ه.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط:1409ه/ 1989م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1416 ه - 1996م.
- ابن المبارك، عبد الله بن المبارك المروزي، الزهد والرقائق من رواية الحسين المروزي، دار الكتب العلمية 1425، 2004.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ط 1 سنة 1403ه/1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية ط: 1434 - 2013.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.، مطبعة دار العلوم بالدوحة، ط 1402ه.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1441ه/1991م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1417ه/1997م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية ببيروت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، تحقيق الأساتذة عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف بمصر.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، راجعه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ-1995 م.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، اعتنت به إدارة الطباعة المنيرية، عالم الكتب ببيروت.
- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية: 1414هـ/1994م.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1418هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، دار المعرفة ببيروت.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي(الجامع الصحيح)، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط2، 1398هـ 1978م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- الرازي، فخر الدين الرازي التفسير الكبير أو مفاتح الغيب، ط 2، سنة 1403هـ/1983م، دار الفكر ببيروت. ط3: 1416 هـ - 1996م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ/1997م.
- رشيد رضا، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى 1366 هـ-1947 م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى: 1397هـ/1997م.
- زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية مؤسسة الرسالة بيروت 1413هـ، 1993م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م.
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة، 1400هـ/1980م.
- السيوطي، عبد الرحمان بن الكمال جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت: 1993.
- الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المسمى التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة الطبع 1984 هـ
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط3 1389هـ، 1969م.
- العليمي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلاميّة-قطر)، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت 1418هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية - بيروت.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط سنة 1400هـ، 1980 م، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.
- النسائي، الحافظ أبو عبد الرحمان أحمد بن عبد الرحمان، سنن النسائي، دار الكتب العلمية بيروت.